Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

مكونات التجربة الشعرية بالمغرب خلال فترة الحماية: علال الفاسي،إدريس الجاي، محمد الحلوي –أنموذجا–

غلام لحسن،[1] د.عبد الحق بنطوجة[2]
[1]باحث ، جامعة ابن طفيل القنيطرة
جامعة ابن طفيل القنيطرة
[2]

استلام البحث:06-04-2023 مراجعة البحث :09-07-2023 قيول البحث :15-07-2023

ملخص

إذا كان الشعر تعبيرا عن الذات ومعاناتها، فإن الشعراء المغاربة استحضروا مكونات التجربة الشعرية التي تتضافر مجتمعة للتعبير عن إحساس الشاعر وفق معايير معينة وقواعد معروفة، لكنها في المقابل تركت للشاعر الحرية في كيفية استثمار هذه المكونات بشكل يختلف من شاعر لآخر، فحينما يكون الشاعر بصدد اختيار الألفاظ فإن العقل يتدخل في هذه الصياغة مع ما يتوافق مع سلامة التعبير ودقة المعنى، في حين إن القصائد التي يهيمن عليها الجانب الذاتي بشكل كبير تكون العاطفة فيها هي المحرك الأساس لهذا الإبداع. وفي قصائد أخرى يحضر هذا التكامل بين العقل والوجدان . كما أسهم المتخيل الذهني في نسج معالم الصورة الشعرية عن طريق التأمل والتفكير سعيا إلى إيجاد لغة خاصة تستجيب لذائقة الشاعر التعبيرية، من هنا شكلت الصورة البلاغية آلية فنية لتأثيث مختلف الصور وتقريبها إلى المتلقي عن طريق اللغة، وقد لمسنا في مجموعة من القصائد الشعرية وجود هذا الحس الفني الإبداعي لشعرائنا المغاربة وإن كانت اللغة الموظفة بعيدة عن التعقيد والغموض.

الكلمات المفتاحية: العقل، العاطفة، اللغة، استحضار أفق التلقي

Abstract:

If poetry is an expression of the self and its suffering, then the poets evoked the components of the poetic experience (subjective and artistic) that come together to express the poet's feeling according to certain standards and well-known rules, but in return they left the poet free in how to invest these components in a way that differs from one poet to another. The poet is in the process of choosing words, the mind intervenes in this formulation with what is compatible with the integrity of expression and the accuracy of the meaning, while the poems that are dominated by the subjective side in a large way, in which emotion is the main engine for this creativity. In other poems, this integration is present between reason and conscience. The mental imagination also contributed to weaving the features of the poetic image through contemplation and thinking in an effort to find a special language that responds to the expressive taste of the poet. From here, the rhetorical image formed an artistic mechanism to furnish various images and bring them closer to the recipient. Moroccans, although the language employed is far from complicated and ambiguous.

Keywords: Reason, emotion, language, evocation of the horizon of reception

مـــقدّمـــــة:

إن تناول الشعر المغربي الحديث من خلال نماذج مختارة "علال الفاسي، إدريس الجاي، محمد الحلوي" بالدراسة والتحليل له أهمية بالغة من حيث عدد القصائد الشعرية الصادرة في هذه الفترة، بالإضافة إلى طبيعة الموضوعات المتناولة، ذات الصلة بقضايا عدة (وطنية، اجتماعية، سياسية، وجدانية، دينية...) تعبر عن تطلعات الشاعر وموقفه من القضايا الوطنية والكونية والإنسانية، كما تحمل أسلوبا معينا في الكتابة يبرز لمسة الشاعر في التناول والمقاربة والتعبير. من هنا كان لنا اهتمام بمقاربة القصيدة المغربية من جانبين: الشق الذاتي المتعلق بذات الشاعر في جانبه الفكري والشعوري المتمثل في العقل والعاطفة، والشق الثاني هو شق موضوعي فني يتعلق باللغة والصورة الشعرية إلى جانب استحضار عنصر التلقي، في تجربة شعرية تتضافر مجتمعة لتشكيل القصيدة.

المنهج المعتمد:

لقد وجدنا في المنهج الوصفي التحليلي المنهج المناسب لهذا الموضوع، لأنه يعطي للباحث مجالا أوسع في التعامل مع هذه الدراسة التي لا تقف عند حدود بناء النص الداخلي فقط، وإنما لها علاقة بالأنساق الفاعلة في القصيدة والمتفاعلة معها.

أهداف البحث:

إن الهدف من هذه الدراسة معرفة الأدبيات المعرفية التي سلكها الشاعر المغربي في فترة الحماية بالمغرب وآمن بها كشكل من أشكال وعيه بماهية الشعر، وملامسة مكونات هذه التجربة الشعرية عن قرب وما تظفر به من خصائص فنية وجمالية.

الإشكالية

إن لكل شاعر تجربته الخاصة وأدواته الإجرائية التي يعتمدها في بناء قصيدته، فإما أن يسير على نمط القصيدة التقليدية محافظا على قواعدها، أو يقوم بكسر هذه القواعد وفق ما يتجدد من نظريات تجد فيما هو قديم لا يحقق تطلعاتها وأمانيها، من هنا كان لنا اهتمام بمكونات التجربة الشعرية ومعرفة طبيعة الرؤية التي اعتمدها الشعراء وقد اختصرنا إشكالات البحث في الأسئلة التالية:كيف قارب الشاعر المغربي تجربته الشعرية؟ وما هي أهم المكونات التي استند عليها الشاعر المغربي في إخراج هذه التجربة؟ ما مدى قدرة العقل على صياغة القصيدة أم إن الأمر يحتاج إلى تضافر القلب والعقل معا؟ أين يتموقع الشاعر في ظل جدلية وصايا العقل وشعور القلب؟ وما هي الخصائص الفنية التي تميز هذه التجربة عن تجارب أخرى.

المبحث الأول:

المكونات الذاتية

أ-: العـــقل

الملكة التي اختصها الله تعالى ببني آدم عليه السلام وميزه بها عن سائر خلقه، من وظائفها القدرة على التفكير والتأمل واستدراك الحقائق، ولن يمتلك صفة التميز بدون استخدام هذه الملكة التي بها يصل إلى فهم هذه الحياة وإدراك سر وجوده، وقد خاطبه الله تعالى بجملة من الآيات التي تدعوه إلى استعمال طاقته العقلية بالنظر والتفكر والتأمل وهو ما يميزه عن سائر المخلوقات، يقول تعالى:*{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}*[1]. ويقول تعالى أيضا: *{قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين}*[2].

فالنظر هو جزء من الإدراك بواسطة الحواس التي تنقل صورة العالم الخارجي إلى الدماغ الذي يعمل على تفسيرها وفهمها، والحقيقة أن فعل السير في الآية الكريمة يدفع الإنسان إلى مشاهدة آثار الحضارات السابقة وتغير أحوالها، في قراءة تأملية للإحاطة بواقع الأمم وصنائعها. "فالإنسان يمتلك عقلا مبدعا استطاع به أن يغادر حقل الأفعال الغريزية خلاف غيره من الكائنات، تجاوز لحظة الطبيعة إلى ما بعدها، إلى الثقافة التي تعطي معنى لكل ما حوله"[3].

وقد أعطى الفلاسفة للعقل بعدا قدسيا شكل منطلقا لتأسيس نظرياتهم المعرفية ورؤيتهم للذات والوجود، معتمدين في ذلك على التفكير العقلي من أجل الوصول إلى الحقيقة وإثباتها، ومن هؤلاء الفلاسفة أرسطو الذي يعتبر "العقل هو آخر ملكات النفس الإنسانية، عده الهدف والغاية التي من أجلها نشأ الإنسان، وهو يقصد من هذا بالطبع أن استخدام العقل في التفكير والأحكام والبراهين هو ما يشكل ماهية الإنسان وبالتالي الغاية من وجوده"[4]، والشعر لم يكن ليستقل عن العقل في مرحلة تاريخية طويلة اعتبر فيها الشعر صنعة يتدخل فيها وعي الإنسان ومهارته العقلية في كتابة القصيدة وحبكها، بالنظر إلى أن القصيدة في الجاهلية كانت تسمى بمجموعة من المواصفات منها الحوليات؛ نظرا لأنها تدوم مدة معينة قد تصل إلى سنة أو أكثر حتى تخرج إلى الوجود منقحة في حلتها الجديدة، يقول ابن طباطبا :"إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، فإذا كملت له المعاني وكثرة الأبيات،

[1]) الزمر، الآية:9.

[2]) الأنعام، الآية:11.

[3]) سوسيولوجيا الثقافة- المفاهيم وإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، عبد الغني عماد، ص:19.

[4]) نظرية المعرفة عند أرسطو، مصطفى النشار، ص:70.

وفق بينها بأبيات تكون نظاما لها وسلكا جامعا لما تشتت منها، فيستقصي انتقاده ويرم ما وهى منه، ويبذل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية، وإن اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول، نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن، وأبطل ذلك البيت أو نقض بعضه، وطلب لمعناه قافلة تشاكله "[5].فالشاعر كالصانع الذي يحيك الثياب فإذا ما اتضحت له الصورة والمقاس أجاد في تطريز ثوبه وحياكته، وهو ما يمنح أسبقية المعنى على اللفظ، ومن الشعراء نجد الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي أعطى أهمية للعقل في العملية الإبداعية، إذ ينطلق من نظرة توحد بين الشعر والثورة، "فإذا كان الشعر هو الثورة، فلا يمكن إلا أن يكون العقل فيه هو الجوهر الفاعل، واعتقد أن الشعر دون جوهره الفاعل الذي هو العقل يصبح زخرفة لفظية لا معنى لها، أو تهويمات وشطحات هلوسية لا هدف لها"[6]. في ضوء هذا المعطى النقدي لدور العقل في كتابة القصيدة، نتساءل عن المنحى الذي سلكه الشاعر المغربي في تجربته الشعرية؟ إن للعقل خاصية أساسية تميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، كما تمنحه قدرة هائلة على فهم هذا الوجود وتمييز الأشياء عن بعضها، يتم ذلك بالحواس أولا، من خلال إشارات يرسلها مباشرة إلى الدماغ فيستوعبها العقل، ثم عن طريق التجربة والتكرار

تترسخ صورة الشيء في العقل الباطن، "فمن المعروف أن البشر لا يستطيعون الخروج من حالة التعقل التي تتحكم فيهم، من حيث إنها تشكل خلفية نشاطاتهم الذهنية والمعرفية"[7]. يستدعي الشاعر ملكة العقل في رحلته الطويلة لتطوير الشعر وفق رؤيته الخاصة، ولن يتم له ذلك من دون درايته بأساليب الخطاب الشعري وبمختلف التصورات الفكرية والنقدية السائدة، من هنا كان الشاعر صاحب المبادرة في توجيه مسار نصه، دون أن ننسى تأثره بالحركة النقدية التي رسمت حدود الإبداع ووضعت أفقا يحدد معالم الإبداع الشعري بشكل متواز مع تطور النقد، وإن كان هذا التأثير عرف نسقا متدرجا ومتباينا من بيئة إلى أخرى؛ بالنظر إلى الثقافة المسيطرة على كل بلد ومدى استعداد الطرف الآخر للانخراط في هذا التحديث الذي مس جوهر المعرفة الشعرية، من هنا ننطلق إلى أن الشعر حينما تكون له غاية معينة مثل إصلاح المجتمع أو الدفاع عن الوطن فإن العقل يكون فاعلا في الإبداع كون الشاعر يريد أن يوصل رسالة ما، ومن تم تأتي اللغة وفق هذه الرسالة التي يود الشاعر

إيصالها إلى المجتمع، كما أن الشاعر مدرك لقيمة العقل والإنصات إليه للوصول إلى الحقيقة وإصلاح المجتمع أمام إغراءات مادية وإكراهات نفسية كثيرة، إنها مجاهدة يعتلي فيها الشاعر أفقا يجنبه الخضوع لشهوات النفس ومطاردة هواه، باستعمال العقل الذي يمنعه من الوقوع في شباك العاطفة . يقول الشاعر

وروَّضت قلبي على أن يعيش من الحب في عزلة نائيهْ[8]

وقلت ابتعد عن جحور الصبابة لا تلدغن مرة ثانيهْ

فإن الهوى بعض زور الحياة وبعض أكاذيبها الفانيهْ

****

وطلقت دنيا الهوى و حلفت بأغلظ ما في الهوى من يمين

لأمتهننَّ أخا صبوة يعذب بين الجوى والحنين

لأمتهننَّ جمال الأنوثة كالرجس مهما اكتسى من فتون

وأحيا أمجد في هيكلي إلها هو العقل رب اليقين

[5]) دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، ص: 34.

[6]) بحث في آلية الإبداع الشعري، عبد الله العشي، ص:71-72.

[7]) بين القطعية والخلق – الحقيقة في الخطاب العربي المعاصر- مقداد نديم عبود، ص:53.

[8])ق: العقل المنتحر، الجابي ، السوانح، ص: 169.

فالشاعر يركز بالخصوص على المعنى أكثر من اللفظ، سيرا على منوال الخطاب التقليدي " ففي الخطاب التقليدي يكون المعنى عادة سابقا على النص، بمعنى أن الشاعر ينشئ نصه ليعبر فيه عن معنى مسبق مكتمل في ذهنه، وغايته الأولى من النص أن يستطيع توصيل هذا المعنى إلى المتلقي.

لقد أظهر الشاعر علال الفاسي رؤيته للخطاب الشعري الذي تجتمع فيه مجموعة من السمات التي لا يمكن للشعر أن يستقيم من دونها، ومن ذلك اعتبار الشعر شعور وإحساس وترجمة مجموعة من العواطف التي تنتاب الإنسان، فإن للعقل دور توجيهي هنا، وبالتالي يكون للعاطفة السبق في توليد المعاني والتفاعل مع العالم الخارجي، كما يبين أيضا هذا التضارب بين ما يقوله العقل وما يؤكده القلب مما يجعل الشاعر في حيرة من أمره مبرزا ذلك بقوله:

وقلت لقلبي، هذه الأرض كلُّها سواءٌ فلا تركنْ من الوجد لِليأس[9]
وكلُّ بني الدنيا سواءٌ وإن هم قد استحدثوا ما بينهم مَيْزَ أجناس

.....

وأكد عقلي كل ما أنا قائل ولكن أبى قلبي وكذب إحساسي
أبى القلب إلا أن يحن لتربة تربى لديها مثل تربية الماس

يسير الشاعر علال الفاسي في قصيدته مخاطبا القلب والعقل والوجدان، مجسدا هذا الصراع الحاصل في عملية الإدراك بين وصايا العقل وشعور القلب، هنا يتدخل الشاعر لتوجيه ذاته الوجهة السليمة وترجيح كفة على أخرى، انطلاقا من آليات معينة تعتمد التجريب والبناء والمقاربة الشعورية، فتكون كفة القلب هي الأرجح على كفة العقل خاصة حينما يتعلق الأمر بالحنين إلى الأهل والوطن. من هنا يمكن أن نتساءل، ما دور العاطفة في هذه التجربة الشعرية خاصة إذا كان الشعر نابعا من القلب ويعبر عن ذات الشاعر.

ب-: العـاطفـــة

إن العاطفة شعور ينتاب الإنسان في حياته اليومية، فهي جزء من خلجات نفسية باطنية متدفقة بالأحاسيس والمشاعر، تخرج إلى العلن في شكل مواقف أو سلوكات حينما تصطدم بمثير معين، تجتمع في هذه الملكة كل مكامن القيم الإنسانية النبيلة، "هي مجازا من خاصة منظومة القلب المركز الأساسي للروح"[10]. تسير مع الإنسان في حياته، فهي جزء من أسراره الباطنية التي زرعت فيه، وتواجدها لم يكن عبثا بل إنها تساهم في توازن الإنسان واستقراره الروحي. يقول الشاعر محمد الحلوي:

لا خير في مال ولا علم ولو ملك الفضاء إذا تحجرت القلوب ![11]

فأهمية المعرفة لدى الشاعر تكمن في الغاية التي تحققها للإنسان في حياته، وارتباطها فقط بالابتكار وكشف المجهول دون تأثيرها عليه تعد معرفة لا خير فيها إذا لـــم تمس جوهر الإنسان وباطنه، من هنا كانت العاطفة مؤثرا في توازن الحياة، فباختفائها تزول لذة المعرفة ويصبح العلم عبئا على الإنسان وليس خادما له، ففي اللحظة التي تكون فيهـــا العاطفة أقوى إدراكا من العقل، يتدخل إحساس الإنسان حينها في معرفة الشيء وفهمه، وهي تفيد :"الحالة الشعورية وما يصاحبها من نشاط موجه متواصل، أي تفيد معنى الميل والاتجاه وتتابع حلقات الفعل، وتفيد أيضا معنى من المعاني مثل الشفقة والحنان"[12]. يقول الشاعر:

أيها الراكع المكب على الأقدام في وقدةٍ من الرَّمضاء[13]

ينقل الخَطو بين مختلف الأرجل في ذلة وفي إقْعاء!

مُفرِغا جهده يلمع الأصباغ ما ارْبَدَّ من سواد الحذاءِ

يمنح الحُسن والشبابَ لأقدامٍ ورجلاه في الوجَى والحفاء

يا مثال النكران للذات لقِّن

---

[9] ق: أبى القلب إلا،م نفسه،ج:2، ص:37.
[10] تقنيات وآليات الإبداع، صاحب الربيعي، ص:60.
[11] ق: المعذبون، محمد الحلوي، الأعمال الشعرية،ج:3، ص:52.
[12] المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص:207.
[13] ق: ماسح الأحذية، محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:3، ص: 95.

أدعياءَ الفدا دروس الفداء

إن تجول الشاعر الدائم ومخالطته الناس من جميع الأطياف، تجعله قريبا من المجتمع، ينقل ما يشاهده في طريقه من حوادث ومآسي– ليست كل الحوادث بل تلك التي يجد لها صدى في قلبه– ينقلها بقلبه وقلمه نتيجة إحساس الشاعر المرهف وإنسانيته المتدفقة، يقول الشاعر عبد المعطي حجازي: "إن القصيدة لا يمكن أن تبدأ من فراغ إذ لا بد أن يسبقها خاطر أو انفعال أو توتر مشحون بالإيقاع أو فكرة تراودنا، صورة ما من صور المعنى، ربما كانت بسيطة أو غامضة لكنها محرضة قادرة على التفتح والنمو"[14]. أما الشاعر إدريس الجاي وإن هيمن على شعره البعد الذاتي إلا أنه لم يغفل قضايا المجتمع، إذ يحضر هذا البعد من حين لآخر وإن كان قليلا مقارنة بما تداوله علال الفاسي الذي أعطى له أولوية كبيرة، ومن ذلك قصيدة "لوحة الرعب" التي قيلت في مأساة زلزال أغادير، انطلاقا من حرارة الانفعال،هذه الحرارة التي قال عنها أحمد الطريسي: "لا تتم إلا من خلال الانفعال مع الواقع الخارجي"[15].

لمن اليوم أشتكي ما بقلبي من هُيام يفيض من جنباته؟[16]
لي عيون تَقر حت دامياتٌ لم يزرها المنام في أوقاته
ويد لا تفارق اليـوم قلبي تختشي أن يطير من وثباته
وخيال من الصبابة فانٍ يتراءى السقامُ في حركاته
بي ما تعلمين منك فمن لي بلقاء نعيش في لحظاته؟

يكشف عنوان القصيدة عن ضلال الشاعر وتيهه، وأي ضلال هو؟ إنه ضلال مروي من عبق الحب، في حوار يستدعي فيه الشاعر القلب عوضا عن العقل، باعتباره الوعاء الذي يحوي هذا الشعور الكائن في الإنسان المتيم، كما أن كل أطراف الجسد تئن من هذه المعاناة، نظرا لهذا الاتصال العضوي بين القلب وسائر الجسد، باستعمال مجموعة من الأساليب: منها الاستفهام الذي يؤدي في هذه القصيدة وظيفة انطباعية عن حال الشاعر المتيم الذي تتسلل أحزانه عبر مجموعة من الأسئلة التي لا ينتظر منها جوابا. كما يحضر أيضا أسلوب النفي لتعزيز هذه الحالة الشعورية (لم يزرها– لا تفارق..). فالخلفيات المعرفية كامنة في ذات الشاعر الذي يجابه هذا الشعور مدركا قوة العاطفة وتأثيرها عليه، وبالتالي تشكل دافعا للإبداع ملهما لأناه الشاعرة.

يقول الشاعر:

فتاة تلهم الفنان آيات من الإبداع تمنحه الخلودا[17]

هنا يستحضر الشاعر الجانب النفسي الذي تحدثه المرأة في سير عمليته الإبداعية عبر شحنات متدفقة من العواطف التي تشعره بالسعادة وتزيده ارتباطا بها، لكن ما أن تختفي من حياة الشاعر حتى تنعكس على نفسيته وتسهم في إنتاج نصوص لها وتر مشحون بالقلقوالمعاناة، مما يشكل ضغطا متواصلا لا ينفك الشاعر من نسيانه بسبب ما تركته محبوبته من أحاسيس بالود والمحبة خلال فترات زمنية ماضية لم تعد الآن قائمة بنفس التوهج.من هنا نجد أن العقل لم يكن بمفرده ليمد الشاعر بطاقات تخييلية تسهم في شعرية القصيدة دون أن يقف على ملكة العاطفة وتأثيراتها اللامتناهية في إخصاب النص الشعري، وقد عبر الشعراء عن هذا الوعي بمجموعة من الأبيات الشعرية التي تبين مدى أهمية العاطفة في الإبداع، منها قول الشاعر محمد الحلوي

خض غمار الحياة طلق المحيا [18]
صغ من الزهر أكاليل الشعور[19]

هي عبارات تؤكد بحث الشاعر المغربي عن قالب جديد يستجيب لإحساسه وشعوره، وبالتالي أصبحت العاطفة تحظى بأولوية في الخطاب الشعري باعتبارها طاقة مغذية للشعر خاصة وأن الشاعر يعد من الفئة الأكثر إحساسا ورهافة، الأقرب شعورا بحاجات الناس

[14]) أسئلة الشعرية، بحث في آلية الإبداع الشعري، عبد الله العشي، ص:27، نقلا عن الحداثة في الشعر، يوسف الخال،ص:93.

[15]) الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية، أحمد الطريسي أعراب، ص:49.

[16]) ق: الشاعر الضال، الأعمال الشعرية، محمد الحلوي،ج:3، ص:45.

[17]) ق:مليكة الحلواء، الحلوي،ج:3، ص:47.

[18]) ق: حيرة، الحلوي،ج3، ص:142.

[19])ق: ميلاد الزهور، الحلوي، ج:3، ص:22.

وهمومهم. هذه الصورة تحركها كوامن باطنية شعورية لدى الشاعر مثل الشفقة والعطف، إذ شكلت ضغطا يطارد الشاعر في حياته اليومية، إلى أن تجد الوقت المناسب للظهور في أشكال فنية معينة، "فالشعر إذن ليس هو تلك النغمة العروضية، وإنما هو تلك العاطفة الروحية، أو ما يتركه الشاعر في نفس السامع من تأثير، عندما يصور لك وجداناته وإحساساته تصويرا يكاد السامع يبصره ويلمسه بيده فيصبح شريكه في شعوره"[20]. إن بروز العاطفة بشكل مؤثر في هذا التفاعل يمثل جزءا من العملية الإدراكية المساهمة في نسج عوالم القصيدة الخفية والظاهرة ولا يمكن أن تظهر إلا عن طريق الانفعال والمعاناة فكيف تسهم المعاناة في نسج معالم القصيدة؟

ج- المعاناة:

إن شرط المعاناة من الشروط التي يلزم توفرها في التجربة الشعرية، لما تحويه من عامل نفسي يدفع الشاعر لإخراج طاقته السلبية – التي سلبت من الذات استقرارها وطمأنينتها- عن طريق البوح، فهذا المعيار يعطي للذات الشاعرة قدرة كبيرة على الإبداع ويمنحها خاصية التميز؛ لأنها من صميم الذات ومن صدق الانفعال وليس محاكاة لتجربة أخرى. وقد بين أحمد الطريسي أن خلو القصيدة من شرط المعاناة لا يضفي عليها طابعا إبداعيا وإنما تصبح ناقلة للخبر، "إن القصيدة التي تحتفظ بالأشياء كما هي في دنيا الواقع، هي قصيدة وصفية، فتنقلها نقلا مباشرا، ومن ثم يكون الدارس أو المحلل يشعر بالفواصل التي تفصل بين الظواهر أو الموضوعات، لأن الأمر لا يتعلق بإبداع حقيقي تنصهر فيه التجربة الشعرية والأشياء في بوثقتها، ثم تخرجها في حلل جديدة من المعاني وإنما الأمر يتعلق بوصف الواقع الخارجي"[21]. يقول الشاعر في قصيدة اندفاعات:

وعـــلا فوقهم عـدو لـدودٌ ماكرٌ لا يخافُ يوم الحساب

ليـس يـرعى لـهم ذمـاما ولا عهدا ولا يختشي زمان انقلاب

فهو دوما على اغتصاب الأراضي وابتزاز الأموال من كل باب[22]

وانتهاك الحرمات والفتـك بالنا س بلا موجب وقطعِ الرقاب

يستعمل الشاعر صورة مجازية تشترك في صياغتها مجموعة من المرادفات المكثفة التي تعبر عن صفات العدو(ماكر،عدو لدود،لا يخاف، لا يخشى...) وهي صفات توثق ما يقترفه العدو من فعل إجرامي متواصل (اغتصاب الأراضي، ابتزاز الأموال، انتهاك الحرمات الفتك بالناس) تؤدي حتما إلى إدراك بشاعة المستعمر واستقرار ذلك في ذهن المتلقي العربي باستعمال لغة واصفة من عين الحدث. يقول الشاعر:

إخوتي في عرينة الأسد صبرا واحتمالا للجرح والآلام![23]

يعرف الدهر أنكم من صمدتم وقـهرتم نوائب الأيامِ!

وكتبتم ملاحما سوف تَبقى للغيورين مصدر الإلهام!

نسي الموت شُغله بِسواكم وغزاكم بكل موت زُؤامِ

يتكرر معجم المعاناة في مأساة أغادير وما خلفه الزلزال من ضحايا ومشردين عانوا من قسوة الطبيعة وفضائها الموحش (الجرح، الألم، عرينة الأسد، غزاكم الموت..) وللتخفيف من حدة هذا الألم الذي أصبح يقض مضجع الناس، لجأ الشاعر إلى المدح – يراه مناسبا في مثل هكذا ظروف- لزرع الثقة بين الناس وتعزيز روح الصبر بينهم (صبرا، صمدتم، قهرتم نوائب الأيام، كتبتم ملاحم، مصدر إلهام...)، فالعلاقة بين المعجمين(البطولة والمعاناة)هي علاقة منافرة باعتبار جراح الواقع كامنة في الزمن الحاضر، في حين تمثل

[20]) الإبداع الشعري والتحولات الاجتماعية والفكرية بالمغرب، أحمد الطريسي، ص:37.

[21]) الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب، الطريسي أعراب، ص:124.

[22])ق: اندفاعات، علال الفاسي، الأعمال الشعرية،ج:1، ص:103.

[23])ق: الزلزال، محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:1، ص: 268.

البطولة صفة لها ارتباط بالماضي، إلا أن الشاعر يعيد هذا الزمن في جانبه الشعوري لدى المتلقي بتقليص المسافة الزمنية بينهما، فينتقل أثرها من الماضي إلى الحاضر عبر تقنية التذكر واستعادة وهج التاريخ، وبالتالي تجد طريقها إلى السامع فتعمل على تعزيز ثقته بنفسه، كما تمنحه شحنات إيجابية لاستعادة وهج الحياة.

إن هذه المشاعر هي ردود فعل تجاه قضايا مجتمعية في لحظة لا متناهية من التفاعل والتشابك والتجاذب، وقد تحقق شرط المعاناة إلى جانب ملكة الإحساس والذوق، "فالشاعر الذي يمرر الأشياء عبر قنوات مشاعر النفس ويخضعها لكيمياء المعاناة والتجربة، تكتسب المعاني على يديه ملامحها الجديدة وقسماتها الفريدة، أما الذي يتلقف الأشياء موضوعات وأشكالا بالنظرات الخاطفة ولا يسمح بتأمل الأشياء وسبر أغوارها، فإن المعاني عند الشاعر تظل محتفظة بخصائصها كما هي موجودة في العالم الخارجي"[24]، ولم يكن هذا الفهم لينطوي عن ذات منفصلة عن العالم الخارجي، بل تدخل معه في علاقات حوارية لا متناهية، فهي جزء لا يتجزأ من مكونات الطبيعة والوجود، في قلب الممارسة الحياتية التي تحقق لها الاستمرارية والوجود. ولم يكن المعجم الشعري ليستقل بنفسه ويحقق جمالية القصيدة دون أن تأتلف مفرداته في صور ذهنية من الواقع والمتخيل، ومنه كان لعلم البيان تأثيره الفني والجمالي في نسج عوالم القصيدة وصورها

المبحث الثاني: المكونات الفنية

أ- اللـــغة:

إن اللغة موجودة بوجود الإنسان، تظهر أهميتها بما تحققه من تواصل بين الشعوب، تتطور من حين لآخر لكنها أيضا تسير إلى الزوال كما اختفت مجموعة من اللغات السابقة: (الأشورية، البابلية، الفينيقية...) نظرا لمحدوديتها أو عدم قدرتها على التطور، فأهمية اللغة تظهر بما تحمل من معرفة وبمدى قدرتها على الانتشار بين الشعوب المختلفة، وبما تؤديه من وقع فني على السامع، خاصة إذا تعلق الأمر باللغة الشعرية التي تختلف عن لغة الخطاب اليومي، هذا الذي يمنحها التميز لما تحويه من معاني. فهذه اللغة تستجيب لمقامات عدة، وكمثال على ذلك اللغة الصوفية التي تتوسل بالرمز في أبهى صور المجاز البياني والعزف على وتر الروح والوجدان، فاللغة والصوفي في علاقة جدلية كالمد والجزر، لا تسعف الشاعر في التعبير عن تجربته التي تعانق ما هو غيبي وتلامس أطراف الكون الشاسع في لحظة من لحظات الشرود الذهني لذلك استعار لغة خاصة به "فالشاعر في محاولته المستمرة الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة وللكشف عن صورة هذه الجوانب الجديدة داخل وعيه الفردي والجماعي، وصورتها المنصهرة مع مكونات لا وعيه، يحاول باستمرار الكشف عن لغة جديدة، فكل تجربة لها لغتها الخاصة بتطور الصورة الذهنية للدلالة من حيث علاقتها بظروف معينة وأفكار وتصورات وآراء وقضايا تتشكل باستمرار تشكلا يتناسب وواقع الحياة المتغير"[25]

إن هذا الارتقاء الذي يصل باللغة إلى درجة الغموض، توازيه لغة شعرية أخرى تجنح إلى السهولة والبساطة، بحيث لا يجد المتلقي أدنى صعوبة في تحديد مكنونها وفهمها، فهي لغة قريبة من الأسلوب النثري؛ عزا وجودها شعيب أوعزوز إلى عوامل ثقافية وقصور في الرؤيا، "وبسبب الفهم الضيق للغة الشعر عند كثير من شعرائنا ووقوعهم تحت تأثير ثقافتهم التقليدية وقصور رؤاهم الشعرية، ظلت تجاربهم الشعرية سطحية تتحدث عن الأشياء والوقائع منفصلة عن ذواتهم ومعاناتهم بلغة مستوحاة من محفوظهم اللغوي"[26]، لكن هذه البساطة ليست عاملا على وصف القصيدة باللاشعرية أو الجمود، وقضية عدم فصل ذات الشاعر عن الواقع له أكثر من مثال يدحضه، وأكثر من قصيدة شعرية أبدى فيها الشاعر اهتماما بالذات ومحاورتها باستعمال مجموعة من الأساليب (المنولوك الذاتي، التماهي مع عناصر الطبيعة، الإنصات إلى معاناة الذات، الكشف عن تطلعاتها منفردة أو دمجها في الذات الجماعية باستعمال ضمير الجمع)، ومن بين العوامل التي دفعت الشاعر إلى استعمال لغة سهلة حسب الباحث أوعزوز شيوع الثقافة التقليدية، "وهذه الثقافة التقليدية كثيرا ما كانت توجه الشعراء وتضغط على مخيلاتهم فتشدها إلى واقع الأحداث ولا تدعها تحلق بعيدا عنه في سماء الإبداع، مما جعل كثيرا من تجاربهم الشعرية لا تعدو أن تكون مجرد أخبار وأوصاف لقضايا وأحداث بعيدة عن ذواتهم، ولمفهوم الشعراء الخاص لدور اللغة في عملية الإبداع الشعري"[27]، ولم يك هذا السبب بمفرده عاملا موجها للشاعر بل يريد لقصيدته أن تصل

---

[24]) الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب ، الطر يسي أعراب ، ص:166.

[25]) لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، ط3، دار النهضة العربية،1984م، ص:64.

[26]) اللغة الشعرية في القصيدة القومية المغربية الحديثة والمعاصر ، شعيب أوعزوز ، ص:241.

[27]) اللغة الشعرية في القصيدة القومية المغربية الحديثة والمعاصر ، شعيب أوعزوز ، ص: 240.

إلى شريحة اجتماعية واسعة؛ لأن الغموض لن يؤدي وظيفته في هذه الظروف من هنا نتجه إلى معرفة وظيفة الصورة الشعرية في هذه التجربة، وكيف أسهم هذا المكون في شعرية القصيدة؟

ب: الصــورة الشعريـة

تمثل الصورة الشعرية المحور الأساس لدينامية الحركة والتخييل في القصيدة، إنها صور من تجربة الشاعر المبدع، حيث الإحساس يتدفق ملتهبا بنار الواقع الأليم، ممتلئا بإبداعات حالمة تحلق في أرجاء ممتدة بين الواقع والحقيقة والخيال، فما موقع هذه الصورة في خريطة التجربة الشعرية بالمغرب الحديث؟ وإلى أي حد تمكن الشاعر من تطويع أفقه التخييلي بشكل يستجيب لطبيعة المرحلة ؟

يقول الشاعر:

عيد أظل سَناهُ العرشَ والوطنا وبايع الدهرُ فيه العاهلَ الحسنا[28]

أهَلَّ والدمع رطبٌ في محاجِرنا والجرحُ دامٍ فأجرى الدمعَ والشجنا

على الذي صنع التاريخَ وامتلأتْ منه القلوبُ وأعيا سَعيُه الزمنا

وصابر البغيَ والأهوالُ كالِحةُ فخاض لُجَّتها، واستعذبا المحنا

تغفو الملوك وتلهو في مباذِلِها وَهْوَ الملاك الذي لم يألفِ الوسَنا

يبرز الشاعر محمد الحلوي بشكل لافت في منح هذا العيد مكانة خاصة، باستعمال مجموعة من الصور الشعرية التي تعطي للمناسبة معيارا خاصا، كما تضفي على المشهد بعدا كونيا، ومن هذه التقنيات وظف الشاعر الانزياح بشكل مكثف، حتى يضع المتلقي في قلب الصورة التي غدت أكثر توهجا بعيد العرش لما له من رمزية خاصة في المجتمع، فالشاعر يستعمل نفس المسار الذي دأب عليه سابقوه من الشعراء في مدح الملوك والخلفاء، وتأثرهم بذلك واضح من سياق القصيدة، ليرسم لنا صورة تليق بهذه المناسبة، وما مبايعة الدهر للملك إلا صورة ماثلة لهذا الانزياح، بالإضافة إلى إضفاء مجموعة من الصفات التي تتناسل تباعا، تبين خصال الممدوح الذي قاوم المحن وصنع التاريخ حتى أصبح الزمن مثقلا معذبا، غير ثابت، مرهف الإحساس، يشعر بالتعب نتيجة فعل الممدوح الساهر على الفعل والمثابرة لإسعاد الغير. وفي نفس السياق سارت قصيدة "العرش المغربي" محملة بالانزياح وهو ما تبينه هذه الأبيات التي جاءت في غرض المدح:

سَموْتَ فكانت دُونك الأنجُمُ الزُّهرُ وُفِقت فلا شمس هناك ولا بدرُ[29]

وجاوزت آفاق الجلالة رِفعة فدانت لك الدنيا وطاوعك الدهر

وسُدت فلا إيوان كسرى وتُبَّعٍ ولا عرش (بلقيسٍ) يـقامُ لها ذكرُ

ومذ كانتا رتقا ففُتِّقت السما عن الأرضِ كان المغرب الوطن الحر

أقام على البحر المحيط مُنَطَّقا بأطلسك الجبار يكلـؤه النصــر

ولو أن هذا البحر ينطق بالذي جرى حوله لصدق الخبرَ الخبرُ

هذا البيت يتناص مع بيت من قصيدة النابغة الذبياني في مدح الخليفة النعمان بقوله:

[28])ق: عبد الشعب، الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:3، ص:176.

[29])ق: العرش المغربي، علال الفاسي، ج:1، ص: 132.

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[30]

في هذه الصورة يعتلي الممدوح أفقا لا يماثله شيء في المكانة والعلو حتى غدا الشاعر متسلحا بهذه الطاقة الجوانية التي تمتح من الطبيعة أفقها المشع، بالإضافة إلى استعمال الاقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى:*{أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما}*[31]. هذا الحدث الإعجازي يستدعيه الشاعر لتأكيد الماضي الزمني المتلازم مع هذا الحدث، فمن خلاله وجد المغرب الضارب في التاريخ، وهو ما يمنح الوطن الديمومة والاستمرار. بالإضافة إلى استدعاء أسماء شخصيات ذاع صيتها بين الأمم: كسرى ملك الفرس، بلقيس ملكة تدمر– لها قصة طريفة مع سليمان عليه السلام الذي قص عليه الهدهد أمرها فأتاها سليمان بعرشها كناية عن إعجاز الله تعالى وصدق دعوته فكان ذلك سبب إيمانها بالله تعالى– إن استدعاء هذه الشخصيات الدينية والتاريخية بما ترمز له من دلالة يأتي من باب المقارنة والتفضيل ليبيــن مكانة الممدوح الذي يضاهي ملوكا سطر التاريخ قوتهم ومكانتهم بين الأمم.

"إن وظيفة الاستعارة جمالية ومعرفية تحقق الترابط بين العناصر النصية المؤتلفة في سياق تسلسلي معين...وتحقق الانسجام بين العناصر المتباعدة فترفع التناقض الظاهر بينها(...) وتحقق ما يسميه لايكوف وجونسون بإبداع المشابهة، أي قدرة الاستعارات على خلق معاني ومفاهيم وعلاقات جديدة داخل اللغة وبين اللغة والعالم، كما تسمح بتعدد التأويل انطلاقا من تعدد التشكلات البلاغية والدلالية التي يتضمنها النص".[32] وللشاعر محمد الحلوي أيضا قصائد عدة تتضمن هذا الأسلوب الفني في سياق آخر.

يقول الشاعر:

لا يرعك العدو في عدد النم ل يسوق الجيوش والأعلاما[33]

يرسل الموتَ من جِبالِ حديدٍ مُرعداتٍ تزلزل الأهراما

ونسورٍ في الجو ترسل أشكا لا من الموت تستقِل الغمَاما

يوجه الشاعر محمد الحلوي رسالته لأهل الجزائر بعدم الاستكانة للوهن أو الضعف مهما كانت صفة جيش العدو وعدته، يستعمل رمز النمل في إشارة إلى الكثرة وهو تشبيه مؤكد، فالمشبه في هذه الصورة (العدو) والمشبه به هو(النمل) أما وجه الشبه فهو يحيل إلى(الكثرة والجاهزية). بالإضافة إلى تشبيه طائرات المستعمر بالنسور وهي ترسل أشكالا من الموت، وهو تشبيه مؤكد احتفظ فيه الشاعر بأركان التشبيه دون الأداة، يأتي الشاعر بهذه الصور الفنية التي تظهر صفات العدو المجهز بالعتاد والعدة لإحاطة المتلقي علما بأن الانتصار لا يقاس بالكثرة ونوعية السلاح عبر فعل النهي(لا يرعك) وإنما بالثبات والصبر في أرض المعركة.

لكن الشاعر لم يقف عند حدود توظيف أسلوب التشبيه بل استعمل أيضا المجاز (يرسل الموت) فالموت لا يرسل من الجبال، وإنما يرسل بدلا من ذلك الرصاص الذي يميت الإنسان، فالعلاقة هنا هي المسببية؛ فقد استعار الشاعر صوره بشكل مكثف في هذه الأبيات مازجا بين صنوف من المعرفة البيانية من أجل تصوير ضراوة المعارك القائمة بين المقاومة والمستعمر. كما تغص أيضا قصائد الشاعر إدريس الجاي بمجموعة من الصور الفنية التي تبين إلمامه بالجانب البياني اللغوي يظهر ذلك في قوله:

أيها الشعب قم بنـا نتحدى من أباحوا الحمى بإفـك وزور[34]

أيها الشعب مـن جبالك فانق ض عليهم مثل انقضاض النسور

[30] ق: أي الرجال المهذب، ديوان النابغة الذبياني،شرح وتقديم عباس الستار، ط: 3،1996م، الكتب العلمية، لبنان،ص:28.

[31] الأنبياء الآية:30.

[32] الاستعارات والشعر العربي الحديث، سعيد الحنصالي،ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،2005م،ص:25-26.

[33] صرخة الجزائر، الأعمال الشعرية، الحلوي، ج:3، ص:90.

[34] عيد الانبعاث، السوانح، الجاي، ص:56.

ومن السهل والصحارى انطلق لي ثا غـضوبا وأي ليث هصـور

يستدعي الشاعر مجموعة من الرموز التي تتلاءم مع طبيعة الموضوع، وقد استعار فعل الانقضاض الذي هو صفة من صفات الحيوانات المفترسة وأسنده إلى الإنسان من باب الاستعارة المكنية مع ذكر قرينة تدل عليها (انقض عليهم)، ثم يليه تشبيه ثان يوضح صورة هذا الانقضاض(انقضاض النسور)، فرمز النسر والليث والأسد دليل على القنص والفتك والسرعة، وهي صفات تميز بها أبطال المقاومة الذين سلكوا مسالك وعرة لمقاومة المحتل، كما أنها تمثل صور شعرية مستعارة من الطبيعة .وللشاعر علال الفاسي أيضا اهتمام بالصورة الشعرية، تجسدها مجموعة من القصائد منها قصيدته "سكناي بمنفاي"؛ وهي تعبر عن واقع السجن وغربة المنفى في أبرز تجليات القلق والمعاناة. يقول الشاعر علال الفاسي:

وهـا أنذا أعيش على اجتـرارٍ وأقرأ صفحةَ الكون المُشاع[35]

****

عساني أن أرى خبرا لقومي وأقـرأ فكرة ذاتَ ابتداع

إن الشاعر يبدو ممتعضا من رتابة الحياة اليومية التي أصبحت نمطية لا جديد فيها، موظفا صورة شعرية مقتبسة من الطبيعة باستعمال المجاز؛ فالاجترار هو فعل تقوم به الأنعام والدواب أثناء عملية الهضم، استدعى الشاعر هذه الصورة على سبيل الاستعارة المكنية مع حذف المشبه به (الحيوان) الدال على ذلك وجود قرينة فعل الاجترار. ثم يأتي الشطر الثاني من البيت متضمنا هذه الاستعارة، فالشاعر استعار للكون صفحة الكتاب باستعمال فعل القراءة، هي أيضا تمثل عملية اجترار لأنها مشاعة، تأخذ سياقها التداولي مما هو متداول ومكرر ومتاح للجميع، فخلفية هذه الصورة تعبر عن متابعة علال الفاسي لكل ما ينشر في الصحف والجرائد وشوقه الكبير لخبر يثلج صدره، لكنه لا يجده مما يزيد من قلقه ومعاناته.

ج-:استحضار أفق القراءة

إذا كان الشعر إحساسا وتعبيرا عن الذات ومعاناتها، فإن المغاربة استحضروا أفق القراءة الشعرية التي تسافر من أنا الشاعر إلى متلق جديد يمارس سطوته على النص، يكسر صمته في مغامرة جديدة لإعادة قراءته، فإما أن يكون سهل المراس لا يجهد القارئ كثيرا، يتحدث المعنى بمجرد عبور بسيط على عتباته، وإما أن يكون المتلقي أمام تحدي النص الذي يمارس كبرياءه وعزوفه عن الاستسلام، فعبر اللغة يشحذ الشاعر كل ما تجود به قريحته الشعرية لإيصال رسالته، فالشاعر يريد من المتلقي أن يعي هذا الخطاب لا أن يكون غامضا يصعب فهمه، وبالتالي تضيع غايته (جماله، متعته، معناه...)، وفي نفس السياق يقول الشاعر الحلوي في حديثه عن ديوانه أنغام وأصداء: "وقد عز علي أن تبقى في الظلام وأن لا تجد يوما يدا كريمة تخرجها إلى النور بعد أن عبثت يد الزمان اللاهي بباقة شعري التي كنت أستروح عطر زهراتها، فلم يتسلم من غمرة الأحداث إلا هذه الحصيلة المتواضعة"[36]، فكان له أن يكون موجها للرأي العام لا أن يطول نسيانه أو يمكث في رف منسي، ومن ثم يصبح النص في عداد الموتى إلى أن يجد من يتلقفه من جديد ويعيد الحياة له، "لقد كانت النظرة الوظيفية للشعر تتحكم في رؤية الرواد، ذلك أن التواصل الذي يجب على الشعر تحقيقه، فرض على الشاعر أدوات فنية معينة وقواعد ثابتة معروفة، فاستبعد من البداية كل ما يتصل بالتعقيد والمبالغة والغموض والإبهام والبهرجة، وأكد في المقابل على الوضوح في القصد والإبانة عن الفكرة التي تفرضها عملية التلقي ما دام أن الشاعر في إبداعه كان يتوخى التواصل مع الجماهير، لذلك بسط في عملية إبداعه"[37]. يقول الشاعر فيها:

لم أبكي؟ ومـا لنفسي ولْهَـى مَلَّت الكون وهو ما ملَّ منها؟[38]

من أُغَني ومـن يسمـع ألحا ني فلا يصرف المسامع عنها

[35]) جباع الخبز و جباع الكتب، ديوان علال الفاسي ،ج:2 ،ص:86.

[36]) مقدمة، محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:3، ص:7.

[37]) المجال الثقافي للشعر المغربي الحديث، نور الدين أيمان، ص:98 .

[38]) ق: حيرة، محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:3، ص: 140 .

ما لروحي السبوح في غمرات الو هم تبغي من الحقيقة كنهـا؟

ويحَ للعمر ينقضي تحت غيم ال يأسِ مـرا وللصبا كيف تُنهى!

ينطلق الشاعر من تساؤلات ذاتية تعبر عن رؤية فلسفية تجس نبض الشعر من جديد عله يعيد للذات حيويتها ونشاطها، باستعمال أدوات الاستفهام بشكل متكرر(لم أبكي، من يسمع، من أغني، ما لروحي...) هي تساؤلات تنم عن رغبة الشاعر الحفاظ على وهجه الإبداعي وتميزه وتفعيل دوره المنطقي في الحياة وتغيير الواقع الآسن من سلطة المادة وأن تكون للشاعر كلمته في هذه المعركة .يقول الشاعر:

انتفض كالهزاز بلله القـط ر فغني في الروض كالهيمان[39]

غن في عيد(ذرة الغرب) لحنا عـبقريـا مـعطر الألحـان

يغمـر الخافقين طيبـا وينسا ب رفيقـا في مسمـع الأزمـان

للشاعر الجاي نفس الطموح الذي عبر عنه شاعرنا الحلوي من موقفه من العالم، فقد دعا إلى كسر عالم المادة والإقبال على عالم الروح الذي يعيد للإنسان استقراره الذاتي وتوازنه النفسي، يقول الشاعر في مقدمة ديوانه: "هذه السوانح أنفقت في نظمها والكثير سواها مزقت وأحرقت زهاء ثلاثين عاما من عمري، فإن هيج بيت واحد منها أشجانك أو حرك الكامن من شوقك أو أضحكك أو أبكاك، أو نقلك من عالم الحس والمادة إلى عالم التأمل والخيال، فسأعد هذه الثلاثين سنة من عمري لم تضع سدى"[40].

عند تأملنا لهذه الرسالة وجدنا في عتباتها صلة الوصل بين الشاعر والمتلقي، فقيمتها الفنية والجمالية تنبع من مدى تأثيرها على القارئ، فالنظرة التوقعية للعلاقة المرتقبة بين النص والمتلقي جعلت الشاعر يبدي هذه الخواطر من عمق تجربته الشعرية التي دامت الثلاثين سنة، مما يظهر أيضا أن الكتابة الشعرية هي محطة من تاريخ الشاعر، بل هي جزء من تأملاته الوجدانية ونظرته للوجود، فقيمة الرسالة الشعرية تتجلى في الغاية التي تحققها أي في الجانب الوظيفي، وقد ترك الشاعر مجموعة من الانطباعات التي قد تعتلي القارئ (الشجن، الشوق، الفرح والحزن، الإحساس بالبعد التخييلي، امتلاك ناصية التأمل..) فمدى انفعال المتلقي وتفاعله مع ما تختزنه القصيدة من قضايا وظواهر، وما تحويه من معاني ودلالات هي الدافع وراء الكتابة والمحددة للغة الخطاب. وهو ما أكده أيضا الباحث نور الدين أيمان بقوله: "لقد كانت النظرة الوظيفية للشعر تتحكم في رؤية الرواد، ذلك أن التواصل الذي يجب على الشعر تحقيقه فرض على الشاعر أدوات فنية معينة وقواعد ثابتة معروفة، فاستبعد منذ البداية كل ما يتصل بالتعقيد والمبالغة والغموض والإبهام والبهرجة، وأكد في المقابل على الوضوح في القصد والإبانة عن الفكرة التي تفرضها عملية التلقي، ما دام أن الشاعر في إبداعه كان يتوخى التواصل مع الجماهير"[41].

والشاعر علال الفاسي أيضا له سكون بالشعر ليس من أجل الشعر نفسه وإنما للغاية التي يحققها ومدى تأثيره على المتلقي، منصفا شعره صادقا لا مزايدا ولا مدعيا إذ يقول: "لست أدعي لهذا الشعر براعة أبي تمام أو إعجاز المتنبي، ولا عبقرية شكسبير أو روحانية طاغور، وكل ما أدعيه أنه شعر شاعر يحمل فكرة، ولذلك لن أطلب من القارئ أكثر من تقدير ما يحمله من إيمان، وما يشدو به من حب ووجدان. ففي علاقة بعتبات القصائد نجد منها ما يشد انتباه القارئ، وكمثال على ذلك قصيدة (لوحة الرعب) فإسناد الرعب إلى اللوحة يثير فضول القارئ لمعرفة دلالة هذا الرعب ومكمنه، الشيء الذي يبين اهتمام الشاعر بالتلقي، لذلك يلعب على وتر الدهشة كعامل مثير في عملية استدعاء القارئ لمعرفة مكمن الرسالة الشعرية وفتح مغالقها، وهي جزء من العملية الإبداعية التي يتصل فيهما الوعي المعرفي والإحساس بالإبداع أثناء القراءة، فالقطب الجمالي كما قال الناقد إيزر(izer) "يكمن في عملية القراءة التي تخرج النص

[39] ق: ذكريات مجد ، الحلوي : ص: 9.

[40] مقدمة السوانح، الجاي بدون صفحة.

[41] المجال الثقافي للشعر المغربي الحديث (النهضة، الإنتلجانسية، الهوية) نور الدين أيمان، ص:98.

من حالته المجردة إلى حالته الملموسة، أي يتحقق بصريا وذهنيا أثناء استيعاب النص وفهمه وتأويله، ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص واستكناه دلالته والبحث عن المعاني الخفية والواضحة"[42]

خاتمة البحث:

إن الشاعر يتفاعل مع قضايا عدة، تحركه كوامن نفسية داخلية أثناء تأمله حالة اجتماعية أو ذاتية أو ظاهرة كونية تثير إحساسه الداخلي وقلقه بما تخلقه من دافع نفسي يوقد مشاعر البوح والسؤال، كما تدفع الشاعر إلى البحث عما يبدد عنه هذا الألم باستدعاء الماضي المجيد للأمة العربية والعودة إلى فتراتها المزهرة الشيء الذي يشفي غليله ويهدئ من روعه، مما يمنح القصيدة بعدا هوياتيا ومجالا أوسع للتخيل تكون المعاناة فاعلا في ذلك، تتشكل حينها مجموعة من الصور الفنية التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل وبالتالي تكون دافعا وجزءا من تجربته الشعرية، وهو ما وجدناه بكثافة في قصائد علال الفاسي وإدريس الجاي ومحمد الحلوي لكن بصيغ مختلفة من تجربة إلى أخرى، وكمثال على ذلك تفاعل الشعراء مع زلزال أغادير واختلافهم في طريقة تناوله، فالشاعر محمد الحلوي احتفظ بنفس التيمة "الزلزال" عنوانا لقصيدته، لكن الشاعر الجاي استعار اسما مجازا له بعد إيحائي، أسهم المتخيل الذهني في تشكيل صورة الحدث "لوحة الرعب"، مما منح القصيدة بعدا فنيا له ارتباطات شعورية وشجون داخلية تنتقل بالمتلقي إلى الإحساس بأبعاد هذا الانفعال على المستوى الحسي والعقلي. فالشاعر هو الحالم الذي ينشد عالم المثل والإنسان العاشق المحب المنفعل، تتدخل العاطفة في تحديد ردود فعله تجاه الأحداث المحيطة به أو تلك التي قد تصادفه في حياته، لكنه في الجانب الآخر يتجاوب مع العقل ويحتكم إليه كلما استشكل عليه أمر ما أو عند تبنيه موقفا معينا، يدخل في لحظة من التوقف الزمني مع أناه لمعرفة ذاته، يسائلها وينصت إلى ضميره من موقع المعاتب أو الناصح، وقد يدخل في لحظة صراع ذاتي لا يجد حينها جوابا لتلك الأسئلة التي تجثو بثقلها على قلبه، فيكون البوح هو العلاج والشكوى من تجلياته، لذلك التأمت العاطفة إلى جانب العقل في تأسيس هذه التجربة الشعرية لدى شعراء المرحلة المدروسة وإن اختلفت من شاعر لآخر. وقد استثمر الشاعر الجانب الفني لتأسيس تجربته الشعرية ومنها نجد حضور مكون اللغة والصورة الشعرية إلى جانب اهتمامه بالمتلقي لأن الخطاب هنا يحمل رسالة معينة لابد لها من جمهور يعيها ويصل إلى مكنونها.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم الحجري، الشعر والمعنى قراءة تحليلية للقصيدة العربية الجديدة، دراسة نقدية، دار النايا، دمشق، ط1، 2012م

2- إبراهيم السولامي، الشعر الوطني في عهد الحماية 1912-1956، ط2، الدار البيضاء، 2011م.

3- أحمد الطريسي أعراب، الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء،1987م.

4- جابر عصفور، مفهوم الشعر-دراسة في التراث النقدي-ط:5،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1995م.

5- سعيد الحنصالي الاستعارات والشعر العربي الحديث، ،ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،2005م،

6- شعيب أعزوز، اللغة الشعرية في القصيدة المغربية الحديثة والمعاصرة، الرباط،2004م

7- صاحب الربيعي، تقنيات وآليات الإبداع الأدبي، دار الزمان، دمشق، 2011 م

8- نور الدين أيمان، المجال الثقافي، الشعر المغربي الحديث- النهضة، الانتلجانسيا، الهوية، مؤسسة أفاق ،ط1، مراكش،2017م

9- مصطفى النشار، نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف، ط:3، القاهرة، 1995م.

10- عبد الله العشي، أسئلة الشعرية، بحث في آليات الإبداع الشعري، ط:1، منشورات الاختلاف، الجزائر ،2009م.

11- عبد الغني عماد، سوسيولوجية الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة،ط:2،بيروت،2008م.

12- يوسف ميخائيل أسعد، سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب، الهيئة المصرية للكتاب،1986م

الدواوين الشعرية:

1- إدريس الجاي، السوانح،المطبعة الملكية، الرباط.

2- محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، ج:3، أنغام وأصداء ،مطبعة دار المناهل،2006م.

[42] المنهج السيميائي، آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، محمد خاقاني، رضا عامر، مجلة دراسات في اللغة العربية،ع:2،2010م،ص:72 .

3- عبد القادر حسن، أحلام الفجر، منتدى ابن تاشفين، ط:1،مراكش.
4- علال الفاسي،الأعمال الشعرية،روض الملك أو جنة ميز،ج:1-2، ط2017،3م.
5- النابغة الذبياني،شر ح وتقديم عباس الستار، ط: 1996،3م، الكتب العلمية، لبنان،